

العمارة العباسية

بعد انتصار العباسيين ونقل مركز الخلافة إلى بغداد في عام 132هـ- 750م، ظهرت عناصر معمارية جديدة في العمارة العربية الإسلامية في تلك الفترة، كان أهم أسبابها تأثير الطبيعة المناخية والجيولوجية. لقد ترك التغيير العباسي السياسي أثرا كبيرا على العمارة، حيث هجر العباسيون دمشق عاصمة الأمويين ليتخذوا الكوفة عاصمة مؤقتة لهم، وكان لهذا الانتقال الدور الرئيسي في تغيير أسلوب العمارة، فقد ساد استخدام اللبن والقرميد مكان الحجارة التي كانت تساعد على زخرفة الواجهات، وحل استخدام الأكتاف محل الأعمدة، وانتشر استخدام الزخارف الجصية بدلا من الزخارف الحجرية.

لم يساعد استخدام اللبن والقرميد في البناء، على بقاء هذه المباني على غرار المباني الإسلامية الأخرى، لذلك نرى أن معظم المدن والمباني العباسية لم يتبق منها سوى أساسات الجدران، وبعض العناصر المعمارية التي قاومت عوامل الطبيعة.

مما لا شك فيه أن العمارة العربية الإسلامية، اكتسبت في هذه الفترة خبرة وتجربة بعد مرور سنين طويلة، مما أتاح الإضافة والتعديل بما يتناسب مع مقتضيات الحاجة، كما أن تأثر العمارة العباسية بالعمارة الراقية والساسانية أعطى لها طابعا خاصا بها.

كما اشتهر العصر العباسي ببناء المدن الجديدة، بما يتناسب مع طبيعة تفكيرهم آخذين بعين الاعتبار طبيعة عقيدتهم الإسلامية. من أشهر المدن التي شيدها العباسيون: مدينة بغداد- سامراء- الرافقة- الرقة- الجعفرية. كما قاموا بتوسيع المدن القديمة التي بنيت في العصور الإغريقية والرومانية والبيزنطية.

المساجد العباسية

بنى في العصر العباسي العديد من المساجد في العراق وغيره من بلاد الخلافة العباسية، ولكن البقايا لا تعطي إلا معلومات عن مسجد الرقة ومسجد سامراء ومسجد أحمد بن طولون في القاهرة.

المسجد الجامع في الرقة:

يعتبر مسجد الرقة العباسي من أقدم المباني العباسية، لأنه بني في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عام 155هـ- 772م، ومخططه العام قريب من تخطيط المسجد النبوي الشريف في المدينة، من حيث الصحن والأروقة، لكن مسجد الرقة مربع الشكل يحيط به سور سميك، مدعم بأبراج نصف مستديرة عددها أربعة أبراج على كل ضلع، ويوجد في كل زاوية من زواياه الأربعة برج دائري الشكل، وللمسجد ثلاثة عشر باباً، خمسة في كل من الضلعين الغربي والشرقي وثلاثة في الضلع الشمالي.

تتعاد الأبواب مع الأروقة المحيطة بالصحن، الذي يحيط بجوانبه الثلاثة صفان من الأروقة، وتضم القبليّة ثلاثة أروقة بينها رواق مؤلف من أقواس دائرية مدببة محمولة على دعائم مقطّعة مربع الشكل.

تهدم بناء المسجد وجدد في عهد نور الدين الزنكي سنة 1165-1166م، وبنيت فيه المئذنة المربعة الشكل والتي ترتكز على قاعدة حجرية مضلعة، وتبلغ أبعاد المسجد الحالية 111.5/ م طول و 96.3/ م في العرض.

مسجد سامراء:

يعتبر مسجد سامراء من أكبر المساجد الإسلامية اتساعاً، ويضم الكثير من العناصر المعمارية التي تميزه عن بقية المساجد الإسلامية. بدأ الخليفة العباسي المتوكل على الله في بنائه عام 234هـ- 848م، وتخطيط المسجد مستطيل الشكل أبعاده 260/ م طول و 180/ م في العرض. استخدم اللبن والقرميد في بنائه، والسور مبني من اللبن مع كوة قرميديّة خارجيّة، وجدرانه مدعمة بأربعين برجاً قطر كل منها أربعة أمتار ونص المتر، ويبرز كل برج عن الجدار نحو المترين.

يحيط بالصحن من جهتيه الشرقية والغربية أربعة صفوف من الدعائم، أما في الجانب الشمالي فنجد ثلاثة صفوف فقط، وفي القبليّة تسع صفوف من الدعائم، بعض هذه الدعائم

ذات مسقط مربع وبعضها مسقطها مستطيل، ويوجد في أركانها أعمدة مستديرة من الرخام كل منها مكون من ثلاثة أجزاء متصلة بحلقات معدنية، وقد استعمل الرصاص المصهور في اللحامات، كما استعويض بهذه الدعامات في حمل سقف القبليّة وسقوف الأروقة.

يبلغ ارتفاع سقف المسجد ما يقارب /10.35/م، وللمسجد محراب يكتنفه زوجان من الأعمدة الرخامية الوردية ذات تيجان وقواعد رومانية الشكل.

تقع المئذنة الملوية على المحور مع المحراب وعلى بعد /22.25/ م من الحائط الشمالي للمسجد، ترتكز على قاعدة مربعة طول ضلعها /33/م، وتزينها حنايا ذات عقود مدببة يعلوها مبنى اسطوانى مكون من خمس طبقات، تتناقص سعتها باتجاه الأعلى، ويحيط بها من الخارج سلم حلزوني بعرض /2/م، يلتف حول جسم المئذنة وبعكس اتجاه عقارب الساعة ويبلغ عدد درجاته /3999/ درجة، ويعلوها واقية خشبية ترتكز على /8/ أعمدة خشبية، ويبلغ الارتفاع الكلي للمئذنة حوالي /52/ م.

إن أهم ما يلفت الانتباه في مسجد سامراء، هو استبدال الأعمدة بالأكتاف (الدعامات) التي تحمل السقف مباشرة بدون عقود مدببة، كما حصل في بناء مسجد الرقة ومسجد أبو دلف في مدينة الجعفرية. أما الميزة التي تميزه عن كافة المساجد الإسلامية هو المئذنة الملوية، لأن المآذن المعروفة والتي بنيت قبلها في العمارة الإسلامية، كان معظمها يبنى على شكل برج مربع، كما تختلف المئذنة الملوية في مسجد سامراء عن جميع المآذن والأبراج العالية، بأن السلم الذي يصعد إلى قمته، لم يوضع بداخل المئذنة، بل يدور مرتفعا حول بدن المئذنة من الخارج حتى ينتهي إلى موقف المؤذن الأخير. هذا أعطى للمئذنة شكل فريد بين مآذن العالم الإسلامي، وعلى الأغلب أن المعمار تأثر ببناء الزيقورات التي اشتهر بناؤها في بلاد الرافدين، ولكن الزيقورات تتميز بأن لها نسب ضخمة وأضلاع متعامدة، تجعل انحدار السلم يسير مستقيما حول الأضلاع، وهذا يؤكد بأن المعمار العباسي يعود له الفضل في إبداع هذا النموذج الإسلامي الجديد من حيث الاستدارة والرشاقة.

من أهم مساجد العراق الأخرى: **مسجد أبو دلف** في مدينة الجعفرية، لم يتبق منه سوى الأكتاف الداخلية، المبنية من القرميد وهي ذات المقطع مربع، كما أن مئذنة المسجد تشبه إلى حد ما مئذنة المسجد سامراء.

القصور العباسية

بنى العباسيون العديد من القصور في كل من بغداد وسامراء والرقعة وقصر الأخيضر، الذي يعتبر مميزاً لأنه بنى خارج المدن في الصحراء.

د. عبير شدود